

بناء الأسلوب ٨٣

حتميةً تنطبق على ما بين أيديهم من نصوص ، كما تنطبق على ما لم يروه ، اكتشافاً بدلالة الحاضر على الغائب ، وعندما تعجز هذه الحتمية عن فرض سيطرتها ، يروغ منها النقاد إلى الأحكام الانطباعية الذاتية التي لا تؤدي إلى مفهوم واضح ، من مثل قولهم : حسن التأليف ، والجزالة ، والرقّة ، إلى غير ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك جوانب كثيرة في هذا النقد يمكن ربطها بطبيعة بناء الأسلوب ، وهي تلك الجوانب التي تصلت بالدراسة النحوية الجمالية والدراسة البلاغية ، من مثل الحديث عن الأدوات وحروف المعاني وخروجها إلى معانٍ إضافية تكتسبها من السياق .

والحق أن البحث النحوي قد أمدّ النقد بقيم موضوعية كثيرة ساعدته على تخطي ذاتيته في محاولة بناء نظرية لغوية في فهم النص ، بحيث تبدأ من الصياغة وتنتهي بها ، وترصد الخواص الجمالية التي تتصل بالتعبير والكشف عنها في التراكيب اللغوية ، وتقيم علاقة وثيقة بين الدوال ومدلولاتها في صور الكلام ومستوياته المختلفة .

ويبدو مفهوم الأسلوب في تراثنا القديم وقد ارتبط بعدة مسارات ، فهو يدل على طرق العرب في أداء المعنى ، كما يرتبط بالنوع الأدبي وطرق صياغته ، ويتصل - كذلك - بشخصية المبدع ومقدرته الفنية . وقد يتصل مفهوم الأسلوب بالعرض الذي يتضمنه النص الأدبي ، وقد يتساوى مفهوم كلمة الأسلوب مع مفهوم النظم الذي يمثل الخواص التعبيرية في الكلام .

وقد توفّر نقادنا القدامى على دراسة اللفظة بحسبانها الإطار الدلالي